بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد؛ فهذا اللِّقاء عنوانه: «**مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**».

وعادةً يُراد بمداخل العُلوم: التعريف بهذا العلم من حيث بيان حقيقته، وبيان مكانته، وبيان ما بُذل من جهودٍ في تجليته وإيضاحه، وبيانُ شرفه وفضله ومكانته، إلىٰ غير ذلكم من الأمور التي هي بمثابة المقدِّمات والمفاتيح لدراسة الفن المراد بيانه.

وهذا مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، وسنتناول -بإذن الله تبارك وتعالىٰ- في هذا المدخل أمورًا عديدة تأتي تِباعًا في نقاطٍ أبيِّنُ من خلالها ما يتيَّسر بيانه حول العقيدة الإسلامية وما يتعلَّق بها؛ تقريرًا وتأصيلًا، وبيانًا لمكانتها ومنزلتها وفضلِها، وما بُذل من جهودٍ في بيانها، وما يترتَّب علىٰ تحقيقها من ثمارٍ وآثار.

والحديث هذا اليوم سيكون في ثلاث مقدِّمات:

۞ **المقدمة الأولىٰ**: في التعريف بالعقيدة، وبيان المراد بها، وذكر الألفاظ المرادفة لهذه الكلمة؛ كلمة «العقيدة».

والعقيدة: مأخوذة لغةً من العَقْد الذي هو الشَّد وربط الأمر وإيثاقه بحيث لا ينفلِت ولا ينفصم، عقَدَ الحبل؛ أي: ربطه وشدَّ وِثاقه، وتُطلق أيضًا علىٰ ملازمة الشَّيء، ولهذا قيل: إنَّ المراد بقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»؛ أي: ملازم لها إلىٰ قيام الساعة.

والعقيدة التي هي أساس دين الله تبارك وتعالىٰ والتي هي أصل دين الإسلام =سميت بهذا الاسم؛ لأن مبناها علىٰ ربط القلب علىٰ أمور الاعتقاد وأصول الديانة، فلا تكون عقيدةً إلا إذا كانت بهذه الوثاقة وبهذا الارتباط وبهذا التمسُّك وبهذا التمكُّن في قلب المسلم، فلا تكون عقيدةً إلا إذا ربط المسلم قلبه عليها ورسخت فيه وثبتت؛ فلم يكن في القلب تِجاهها تزعزع أو شكٌّ أو تردد أو ارتياب، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات:١٥]، بهذا تكون العقيدة؛ ﴿ثُمَّ لَمْ

يَرْتَابُواْ﴾، ومعنىٰ ﴿لَمْ يَرْتَابُواْ﴾؛ أي: أيقنوا ولم يشكُّوا، كانت قلوبهم علىٰ هذا الأصل ثابتةً عليه متمكنًا فيها ليست متردِّدة ولا مضطربة ولا شاكَّة؛ فبهذا يكون الاعتقاد.

وقد جاء في «المسند» للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بإسناد ثابت أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أَفْضَلُ الأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ**»، هذا هو الاعتقاد؛ إيمانٌ لا شكَّ فيه، كما مرَّ معنا في قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ إيمانٌ لا شكَّ فيه، فإذا وُجد الشَّك في أصول الدِّيانة لم يصبح اعتقادًا، وإنَّما يصبح ريبًا أو شكًّا أو ظنًّا أو نحو ذلك، فالعقيدة الإسلامية سُمِّيت بهذا الاسم؛ لأنها مبنية علىٰ ربط القلب علىٰ أصول الدِّيانة وتمسُّك القلب بأصول الدين وأصول الإيمان بدون شك ولا ريب.

وهذا الاسم «**العقيدة**» هو اسمٌ شرعي ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام، علىٰ خلاف ما يدَّعيه بعض أهل الأهواء أنه مصطلحٌ حادث؛ بل هذا اسم شرعي ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام، كما جاء في «سنن الدارِمي» بإسناد جيد أنَّ النبي ﷺ قال: «**لَا يَعْتَقِدُ قَلْبُ مُسْلِمٍ عَلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، فهذا اسم شرعي ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام ودرَج السَّلف الصالح رحمهم الله تعالىٰ علىٰ استعماله، ولهذا صُنِّفت مصنَّفات عديدة للسَّلف رحمهم الله تعالىٰ في بيان أصول الدِّيانة وسُمِّيت بالاعتقاد أو بالعقيدة أو بأصول العقيدة، وهو اسمٌ منطبقٌ علىٰ مسمَّاه كما عرفنا ذلك؛ لأن العقيدة لابد فيها من ثبات القلب أو من ربط القلب علىٰ أصول الدِّيانة، فإذا لم يكن ربطٌ وإيثاقٌ ووُجد في القلب شكٌّ أو ريبٌ أو نحو ذلك لم تكن عقيدة.

وهذا من جهة أخرىٰ يبيِّن لنا المكانة العليَّة للعقيدة الإسلامية، وما ينبغي أن تكون عليه القلوب المؤمنة في أمر الاعتقاد من ثباتٍ ورسوخٍ وتمكُّنها في قلب المسلم، وكيف لا يكون شأنُها كذلك وهي أساسُ بناء الدِّين والأصل الذي عليه تقوم! فدين الله ﷻ لا يقوم إلا علىٰ عقيدة راسخة ثابتة رُبط القلب عليها واستوثق بها، فعلىٰ هذا يكون قيام الدِّين، أمَّا بدونه فما يكون عليه الإنسان من عملٍ أو نحو ذلك عُرضة للانهيار في أسرع وقت، كما هو الشأن فيما يقام من أبنية شامخة عالية علىٰ غير أساس فسرعان ما ينهار البناء.

والبيـــت لا يُبْتنـــىٰ إلا بأعمـــدةٍ ولا عمـــاد إذا لـــم تُـــرسَ أوتـــادُ

وسيأتي معنا لاحقًا -بإذن الله تبارك وتعالىٰ- ذِكرٌ لبعض مصنَّفات السلف رحمهم الله تعالىٰ التي سُمِّيت بهذا الاسم، وهي كثيرة جدًّا.

وخلاصة القول: أنَّ «العقيدة» لفظة شرعية وليست مصطلحًا حادثًا، جاء استعمالها في حديث رسول الله ﷺ، ودرج السَّلفُ الصالح علىٰ استعمال هذه اللَّفظة في أصول الدِّيانة وأركان الإيمان وأسس الملَّة للأمر الذي سبق بيانُه وإيضاحه.

وللعقيدة أسماءٌ أخرىٰ متعددة وردت في إطلاقات أهل العلم، وأيضًا فيما سمَّوا به مصنفاتهم في أبواب الاعتقاد؛ فكلمة «عقيدة» لها ألفاظ مرادفة وألفاظ مقارِبة تُطلق علىٰ أمور الاعتقاد وأصول الدِّيانة، فيقال: «العقيدة الإسلامية» ويقال: «التوحيد»، «علم التوحيد»، وأيضا يقال عنها: «الفقه الأكبر»، وكذلك يقال لها: «أصول الدين» أو «أصول الديانة» أو «أصول الملة»، وكذلك يقال عنها: «الشريعة» و«السنَّة»، وفي كل ذلكم صُنِّفت مصنَّفات للسَّلف الصالح في باب الاعتقاد سُمِّيت بالأسماء السابقة.

والتوحيد هو أصل أصول الاعتقاد وأعظم أسسه؛ لأنَّ الاعتقاد له أصول عديدة أعظمُها توحيد الله ﷻ وتحقيق الإيمان به جل شأنه وبوحدانيته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه تبارك وتعالىٰ وصفاته؛ وهو ما يُعرف عند أهل العلم بـ«أقسام التوحيد الثلاثة»، وهي أركانٌ للإيمان بالله، لا يكون العبد مؤمنًا بالله ﷻ إلا بإيمانه بهذه الأركان التي بها يصحُّ الإيمان بالله ويستقيم.

- **الإيمان بوحدانيته ﷻ في ربوبيته**؛ بالاعتقاد الجازم والإيمان الراسخ أنه وحده رب العالمين وخالق الخلق أجمعين، الذي بيده أزمة الأمور ومقاليد السَّمٰوات والأرض، الذي بيده ملكوت كل شيء، القدير علىٰ كل شيء، الذي له المشيئة النافذة والقُدرة الشاملة.
- **والإيمان بوحدانيته في أسمائه وصفاته**؛ بالإيمان بها وإثباتها، وعدم جحد شيء منها أو الإلحاد فيها، كما قال الله جل شأنه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف].
- **والإيمان بوحدانيته ﷻ في ألوهيته**؛ بأنه المعبود بحقٍّ ولا معبود بحقٍّ سواه.

فهذا هو توحيدُ الله الذي هو أعظم أصول الدِّيانة وأصل أصول الإيمان.

والتَّوحيد الذي هو أصل أصول الديانة له جانبان:

- جانب عَملي.
- وجانب عِلمي.

وهما الغاية التي خُلق الخلق لأجلها وأوجدوا لتحقيقها:

يدل للأول قول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات] هذا في الجانب العملي.

ويدل للثاني وهو العلمي قول الله في الآية الأخيرة من سورة الطلاق: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق].

تأمَّل في الآيتين؛ آية الذاريات وآية الطلاق، آية الذَّاريات فيها خلَق لأجل العبادة، قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾؛ خلَق لتعبدوا، وآية الطلاق فيها أنه خلَق للعلم ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ لماذا؟ قال: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾؛ هناك خلق لتعبدوا وهنا خلق لتعلموا.

فهذا يدل علىٰ أن الغاية من الخلق هو توحيد الله بجانِبَي التوحيد العلمي والعملي.

والعلمي يشمل الربوبية والأسماء والصفات.

والعملي هو توحيد العبادة، بإخلاص الدِّين لله ﷻ وإفراده بجميع أنواع العبادة؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، قال جل وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]

والتَّوحيد لا يكون إلا بنفيٍ وإثبات، فلا يكون التوحيد إلَّا بهما، ولهذا قيام التوحيد علىٰ هذين الرُّكنين: النفي والإثبات، وهما مجتمعان في كلمة التَّوحيد «لا إله إلا الله»، هذا هو التَّوحيد، و«لا إله إلا الله» هي كلمة التَّوحيد نفي وإثبات، لا يكون العبد موحِّدًا أو من أهل التوحيد إلا بهما؛ بالنَّفي والإثبات، فإذا نفىٰ ولم يُثبِت ماذا يكون؟ من قال: «لا إله» ووقف يكون ملحدًا، ومن أثبت ولم ينفِ يكون مشركًا، الذي يثبت العبادة لله ويقول: لا أنفيها عمن سواه يكون مشركًا، فالتوحيد لا يكون إلا بالنَّفي والإثبات؛ نفيُ العبودية عن كل من سوىٰ الله، وإثباتُها بجميع معانيها لله وحده ﷻ.

ولغرس هذا الأمر والتمكين له في القلوب وتوسيع مَساحته في النفوس كان من هدي نبينا عليه الصلاة والسلام؛ كما جاء في حديث عبد الله بن الزبير في «صحيح مسلم» أنه كان يهلِّل دبر كل صلاة فيقول: «لا

إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»؛ فهذه ثلاث تهليلات تقال دبر كل صلاة، وعقِب كلِّ تهليلةٍ من هذه التهليلات الثَّلاث ذُكر ما هو تحقيقٌ للتَّوحيد وتأكيد لمعناه، أو ما هو شرحٌ وبيانٌ للتَّوحيد وإيضاحٌ لحقيقته.

فقولُك عقب التهليلة الأولىٰ: «**وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**» هذا تأكيد للتوحيد برُكنيه، أُكِّد الإثبات بقوله «**وَحْدَهُ**»، وأُكد النفي بقوله: «**لَا شَرِيكَ لَهُ**».

وقولك بعد التهليلة الثانية: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ**»، قولك: «**وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ**» هذا بيان للمعنىٰ، معنىٰ «لا إله إلا الله» أي: ألا نعبد إلا الله.

وقولك: «**مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**» بعد التهليلة الثالثة بيانٌ أن حقيقة التوحيد إخلاص الدين لله ﷻ بأن يكون الدين صافيًا نقيا لا شائبة فيه، كله لله رب العالمين؛ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

ويمكن في ضوء هذا التهليل المبارك الذي يردِّده المسلم دُبر كل صلاة أن نستقي منه تعريفًا جامعًا للتوحيد مستفاد من التهليلات الثلاث التي يرددها المسلم دبر كل صلاة فنقول: التوحيد هو أن نعبد الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين، أو بعبارة أدق؛ التوحيد: **ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين**؛ «ألا نعبد إلا الله» هذا من التهليلة الثانية، «وحده لا شريك له» من التهليلة الأولىٰ، «مخلصين له الدين» من التهليلة الثالثة. فهذا التعريف جامع مأخوذ من هذه التهليلة المباركة التي يرددها المسلم دبر كل صلاة، التوحيد هو: ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين.

ولعلنا ندرك بمعرفتنا لهذا التهليل وأهمية تكرار المسلم له دبر كل صلاة المكانة العلية التي ينبغي أن تكون عليها العقيدة في قلب المسلم من حيث المذاكرة والمدارسة والمراجعة والاستذكار؛ ترسيخًا لها وتوسيعًا لمساحتها في القلب وتمكينًا لها في النفس، ولما كان بعض الناس يردِّد هذه الكلمات دون وعيٍ ودون فهمٍ وُجد فيمن يهلل من ينقض تهليله فتسمعه يقول: «لا إله الا الله وحده لا شريك له» ثم بعدها بقليل يقول: "مدد يا فلان، أو: أدركني يا فلان، أو: إن لم تأخذ بيدي فمن الذي يأخذ بيدي! أو: ما لي من ألوذ به سواك" أو نحو ذلك، فهذا التهليل المبارك الذي يردده المسلم دبر كل صلاةٍ فيه حقيقة فوائد عظام جدًّا يجدر بالمسلم أن يعيها حتىٰ يعظم حظه ونصيبه من التوحيد.

ومن أسماء العقيدة «الفقه الأكبر»، وبعض أهل العلم سمَّوا مصنفاتهم في الاعتقاد بهذا الاسم «الفقه الأكبر».

وبهذا يُعلم أنَّ قول نبيِّنا عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»؛ ما المراد بالفقه هنا؟ هل المراد به التعبير الشائع أو الإطلاق الشائع للفقه مرادًا به الأحكام العملية؟ أو المراد بالفقه في الدِّين أي: عقيدةً وشريعة؟ لا شك أن هذا هو المراد، المراد بقوله: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»؛ أي: عقيدةً وشريعة، لأن دين الله ﷻ عقيدة وشريعة، كما هو واضح في حديث جبريل لمَّا ذكر شرائع الإسلام وأصول الإيمان ختم ذلك بقوله: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»، فالدين عقيدة وشريعة. فـ«**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» أي: في دين الله عقيدةً وشريعة.

ولهذا من أمارات الخير وعلامات التوفيق أن يحبَّ المسلم دراسة العقيدة الإسلامية المستمدَّة من الكتاب والسنة، وأن ينشرح صدرُه لدراستها وتعلُّمها؛ لأن هذا من إرادة الخير به، أليس قد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»!! والعقيدة هي أعظم الدين، قد مر معنا قريبًا قول نبينا عليه الصلاة والسلام: «**أَفْضَلُ الأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ**» والحديث في «المسند» للإمام أحمد، وثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه سُئل أي العمل أفضل؟ قال: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**»، فالعقيدة هي أفضل الدِّين وأعلاه شأنًا وأرفعُه مكانة، فإذا انشرح صدر المسلم لدراسة العقيدة وتعلمها ومذاكرتها فهذا من إرادة الخير به.

كذلكم من أسماء العقيدة: «السُّنَّة»، وقول نبينا عليه الصلاة والسلام: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، قوله: «**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**» ونظائر ذلك ممَّا جاء عنه صلوات الله وسلامه عليه يتناوَل الدِّين كلَّه عقيدةً وشريعة. ولهذا بعضُ العلماء من السلف رحمهم الله تعالىٰ صنَّفوا في العقيدة مصنَّفات أطلقوا عليها «السُّنّة»؛ لأنّ السنة المروية عن النبي ﷺ المأثورة عنه: عقيدة وشريعة.

كذلكم من أسماء هذا العلم: «أصول الدِّيانة» أو «أصول الدِّين»، وبهذا أيضا صُنِّفت مصنَّفات.

وكذلكم «الشريعة»؛ لأن العقيدة شرعٌ أذِن الله به، قد قال الله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورىٰ:٢١]، وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الشورىٰ:١٣] الآية. فالعقيدة شرع الله ﷻ الذي أمر عباده بالإيمان به واعتقاده. فهذه المقدِّمة الأولىٰ.

۞ **المقدمة الثانية: في بيان فضل هذا العلم وشرفه ومكانته.**

والكلام علىٰ فضل العقيدة وشرفها يطول وهو حديثٌ ذو شجون والكلام فيه واسع، لكن نجتزئ لضيق الوقت بالإشارة إلىٰ بعض الجوانب التي تتعلق بهذا المطلب أو بهذا الأمر الذي هو بيان شرف العقيدة وفضل هذا العلم. ويكفي هذا العلم شرفًا وفضلًا ونُبلًا ومكانةً شرف المعلوم، إذ قيل قديمًا: «شرف العلم من شرف معلومه»، وأي شيءٍ أشرف من العلم بالله ﷻ، الذي العلم به هو أشرف علم وأفضله، وبقية العلوم تبعٌ له وفرعٌ عنه!!

فالعلم بالله ﷻ وبخصائصه جل شأنه وحقوقه علىٰ عباده وما يجب له ﷻ من توحيد وإخلاص وإيمانٍ بوحدانيته وتفرُّده وعظمته وجلاله وكماله وكبريائه؛ لا شكَّ أنَّ هذا أفضل علم وأشرفُه وهو الذي يورث الخشية والإنابة وحُسن الالتجاء وتحقيق العبودية لله ﷻ، قد قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: «أي: العلماء بأنَّ الله علىٰ كل شيءٍ قدير».

وهذه لفتة عجيبة وعظيمة جدًّا من هذا الحَبر الإمام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه، «العلماء بأنَّ الله علىٰ كل شيءٍ قدير»؛ لأن علمك بالله وأنه ﷻ له القدرة الشاملة والمشيئة النَّافذة، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه الكبير المتعال، العظيم ذو الجلال جل شأنه؛ هذا كلُّه يملأ القلوب تعظيمًا لله ﷻ وقدرًا له جلَّ شأنه حق قدره. بينما إذا ضَعُفت هذه المعرفة وضعُف هذا العلم في القلب ضعُفت آثاره. ولهذا قيل قديمًا: «من كان بالله أعرف كان منه أخوف»؛ لكن ضعف الخوف من الله وضعف الإقبال علىٰ الله وضَعف حُسن الالتجاء إلىٰ الله ﷻ من ضعف المعرفة بالله ﷻ.

وممَّا يبيِّن فضل هذا العلم: أنه أصل دين الله الذي عليه يبنىٰ وأساسه الذي عليه يقام، فلا قيام للدِّين إلَّا علىٰ العقيدة الصحيحة، فالعقيدة للدِّين بمثابة الأصول للأشجار والأسس للبُنيان، فكما أنَّ الأشجار لا تقوم إلا علىٰ أصولها، والأبنية لا تقوم إلا علىٰ أعمدتها، فالدِّين لا يقوم إلا علىٰ العقيدة؛ فإنسانٌ بلا عقيدة كجسدٍ بلا روح. فمكانة العقيدة من النَّفس البشرية بمثابة الرُّوح التي تكون بها الحياة الحقيقية للإنسان؛ لأنها إذا انتُزعت العقيدة من الإنسان كانت حياته بهيميَّة وليست حقيقية، قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، ولهذا سمَّىٰ الله جل شأنه الوحي روحًا؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾

[الشورى:٥٢] لماذا سمَّاه روحًا؟ لأن الحياة الحقيقية للقلوب لا تكون إلا به، وأعظم شيءٍ في وحي الله وتنزيله الاعتقاد، قال الله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [النحل] هذا أعظم شيء في الوحي؛ الاعتقاد، التوحيد، الإخلاص لله ﷻ، الإيمان بوحدانيَّته جلَّ في علاه.

ومن فضل هذه العقيدة كما أسلفت: أنها الأصل الذي يقوم عليه دين الله؛ ومما يبيِّن ذلكم قول الله ﷻ في المثل العظيم الذي ضربه جلَّ وعلا لبيان الإيمان في سورة إبراهيم فقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥﴾ [إبراهيم]؛ تأمَّل هذا البيان العجيب! ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤﴾، فبثبوت هذا الأصل الذي هو الاعتقاد يكون قيام الفرع وحصول الثَّمر، ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾؛ ومن المعلوم أنَّ الشجرة إنَّما يعظم الانتفاع بها ويتحقَّق بثبات أصلها ورسوخه، فإذا ثبت الأصل ورسخ قامت الفروع وتحقَّقت الثمار والآثار؛ فهذا مثَل لبيان الدين وبيان مكانة العقيدة من دِين الله ﷻ.

إذا أردت أن تعرف مكانة العقيدة من دين الله فانظر إلىٰ النَّخلة، لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام بيَّن كما في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما أن المراد بالشجرة الطيبة التي جُعلت مثلا للمؤمن النخلة، قد ثبت في «الصحيحين» من حديث ابن عمر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلَا، وَلَا، وَلَا**» يذكر صفات لها جعلها الله مثلا للمؤمن، ثم لما لم يعرفوا ما هي قال: «**هِيَ النَّخْلَةُ**»؛ وهذا من الدَّلائل علىٰ شرف هذه الشَّجرة وأنها أفضل الأشجار، لأن الله ﷻ خصَّها من بين الأشجار بأن ضربها مثلًا للمؤمن.

فالنَّخلة لها أصل، لها عروق ثابتة ممتدَّة ضاربة في الأرض متمكِّنة فيها، وتنزل تبحث عن الماء الذي به حياتها، وكلَّما كان الماء إلىٰ جهة اتجهت عروقها إليه -سبحان الله!- تطلب الماء، فبالماء حياتها؛ والمؤمن قلبه يبحث عن الوحي، لأن بالوحي حياته، قال الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ بماذا؟ بالماء ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٧﴾ [الحديد]؛ أي: كما أن الشجر ومنه النّخل يحيىٰ بالماء فإذا حُبس عنه الماء مات، فكذلك القلوب لا تحيىٰ إلا بالوحي، فإذا حُبس عنها الوحي ماتت.

ولهذا كلما ابتعد الإنسان عن الوحي اقترب من الموت، يموت قلبه بدون الوحي، وكلما اقترب من

الوحي دبَّت فيه الحياة بحسب قربه من الوحي وحظه ونصيبه منه، قد مرَّ معنا قول الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ [الشورىٰ].

ومن دلائل وشواهد فضل العقيدة ورفيع مكانتها: أنها أساسٌ لا تصحُّ الأعمال إلا به، ولا تُقبل إلَّا به؛ فالعمل مهما عظُم وكبر وتعدد وتنوَّع لا يُقبل إلا بعقيدة صحيحة، فالعقيدة أساسٌ وأصلٌ لقبول الأعمال، فإذا وجدت أعمالٌ بلا عقيدة فماذا تكون؟ تكون هباءً منثورًا، فالعمل الذي يكون علىٰ غير عقيدة لا يُقبل، ولهذا ترىٰ في آيات كثيرة جدًّا في القرآن تُذكر العقيدة أساسًا لقبول الأعمال، في مثل قوله: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [الإسراء:١٩]، ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [النحل:٩٧]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة. فالأعمال الصَّالحات والطاعات المتنوعات لا تُقبل إلَّا بالاعتقاد، وبدون الاعتقاد يكون العمل باطلًا وحابطًا وليس مقبولًا؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥﴾ [المائدة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٥٤]. فالنَّفقات وهي عمل صالح لا تكون متقبَّلة إلا إذا كانت قائمة علىٰ عقيدة صحيحة. فالعقيدة من شرفِها وفضلها ومكانتها العليَّة أنها تصحِّح الأعمال، فلا تصحُّ الأعمال إلا بها ولا تُقبل إلَّا بها.

ومن شرف هذه العقيدة ومكانتها: كثرةُ ثمارها وتعدد فضائلها وتنوُّع خيراتها وبركاتها، وسيأتي لاحقًا بسطٌ لثمرات الاعتقاد وفوائده وآثاره التي يجنيها المؤمنُ ويحصِّلها صاحب المعتقد السَّليم.

ونكتفي بهذا لندخل في:

۞ **المقدِّمة الثالثة** من المقدِّمات الثَّلاث وهي: حديثٌ حول حملة العقيدة من هم؟ حملة هذه العقيدة الصَّحيحة من هم؟

وجواب ذلك باختصار شديد: هم أنبياء الله وتابعوهم بإحسان، أو أنبياء الله وورثتهم؛ فحملة هذه العقيدة والدعاة إليها والمنافحون عنها والذَّابُّون عن حماها والمنتصرون لها هم أنبياء الله وورَّاثهم، قد قال عليه الصلاة والسلام: «**يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

والأنبياء من أوَّلهم إلىٰ آخِرهم عقيدتهم واحدة، لا اختلاف بين نبيٍّ وآخر في العقيدة، فعقيدة الأنبياء

واحدة وأصولهم أجمعين واحدة، ولهذا قال أهل العلم: العقيدة لا يدخلها النَّسخ، وإنَّما يدخل الأحكام، أمَّا العقيدة لا يدخلها النسخ لا في شريعة النبيِّ الواحد ولا أيضًا بين نبيٍّ وآخر، العقيدة لا يدخلها نسخ؛ فالعقيدة التي عليها نوح هي العقيدة التي عليها إبراهيم، هي العقيدة التي عليها موسىٰ وعيسىٰ، هي العقيدة التي عليها خاتم النبيِّين، هي العقيدة التي عليها الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ عقيدة واحدة، وهي عقيدة نازلة بالوحي من الله ﷻ ربِّ العالمين، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»؛ العَلَّة من هي؟ العلة: هي الزوجة علىٰ الزوجة؛ الزوجة علىٰ الزوجة يقال لها: علة، والعلّ: هو النَّهَل والشرب، فالزوجة علىٰ الزوجة يقال لها: علة، يقول: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**» أي: عقيدتنا واحدة والشرائع قد تكون مختلفة بحسب حاجات الأقوام وواقع الزمان، قال الله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٩]، ولهذا يدخل النسخ في الأحكام، أما العقيدة فهي عقيدة واحدة.

فالأنبياء كلُّهم علىٰ عقيدةٍ واحدة، كلُّهم دعاةٌ إلىٰ توحيد الله وإفراده جلَّ شأنه بالعبادة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء]، قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف]، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي: الرسل ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف:٢١]؛ هذه مهمَّة الأنبياء، فهم كلُّهم دعاة إلىٰ توحيد الله وإفراد الله ﷻ بالعبادة، وكلُّهم دعاة إلىٰ الإيمان باليوم الآخر، ما مِنْ نبي بعثه الله ﷻ إلا ودعا قومَه إلىٰ الإيمان باليوم الآخر، ولهذا يقول الله سبحانه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الزمر:٧١].

الرُّسل كلُّهم ينذرون من لقاء الله، وكلُّهم دعاة إلىٰ الإيمان باليوم الآخر، فما مِنْ رسولٍ بعثه الله إلا ودعا قومه إلىٰ الإيمان باليوم الآخر، وكلُّهم دعاةٌ إلىٰ الايمان بالأنبياء الذين يبعثُهم الله ﷻ بوحيه جل شأنه وتنزيله، ولهذا كان التَّكذيب بنبيٍّ واحد تكذيبٌ بجميع النبيِّين، قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٠٥﴾ [الشعراء] مع أنَّهم إنما كذبوا نوحًا وحده عليه السلام! فدين الأنبياء واحد، عقيدتهم واحدة، أصولهم واحدة، إلىٰ أنْ ختمهُم الله ﷻ بمحمدٍ صلوات الله وسلامه عليه.

ثم أتباع هذا النبي عليه الصلاة والسلام بإحسان هم حملة العقيدة التي كان عليها صلوات الله وسلامه عليه وكان عليها الأنبياء من قبله، ولهذا يُطلق علىٰ حملة العقيدة الصَّحيحة أسماء تدلُّ علىٰ هذا الارتباط بالنبي عليه الصلاة والسلام وبما جاء عنه؛ فيقال: «أهل السُّنّة والجماعة»، يقال: «أهل الحديث»، يقال: «أتباع السَّلف» أو «السَّلف»، يقال: «أهل الأثر»، إلىٰ غير ذلكم من الألقاب التي تطلق عليهم المُشعِرة بأنَّ القوم لم يأتوا بشيء من قِبل أنفسهم ولم يخترعوا أمرًا بفكرٍ أو عقل أو رأي أو ذوق أو وجْد أو نحو ذلك وإنما هم أتباع وقُفاة للأثر، ولهذا يقال: «أهل السنة» أو «أهل الجماعة» أو «أهل الحديث» أو «أهل الأثر» أو «السلف»، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة:١٠٠]، ويقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء:١١٥]، ومرَّ معنا قول نبينا عليه الصلاة والسلام: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

ولعلَّنا نكتفي بهذا القدر، سائلين الله ﷻ أن يرزُقنا أجمعين العلم النَّافع والعمل الصالح، وأن يوفقنا أجمعين لما يحبُّه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال. اللّٰهُمَّ إنا نسألك إيمانًا دائمًا وعلمًا نافعًا وهديًا قيِّمًا. والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.